

## لا يأس من رحمة الله لغفران الذنب



(إِنَّمَا لَهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ) (النساء / 48). قد يكون، فالعبد، يبحث غالباً في الذنب، ليعرف أي ذنب هو الذي لا يغفر، وأي ذنب يمكن أن يغفر، ليس من أجل تجنب الذنب، وإنما من أجل أن لا يهاب من (الذنب الصغير). وفي هذا نوع من التجربة على الله. فالذنب لا يُقاس بذاته، وإنما بالنسبة إلى من يرتكب الذنب تجاهه.

فالقضية لا تدور مدار حجم المعصية أو الجريمة، بمقدار ما تدور مدار من اعتبرها جريمة ونهانا عن اقتصافها.. وعليه، فإن كل الذنب، تعتبر كبيرة، لأنها تحدياً.. ولكن بعض الذنب وعد الله عليها العقاب، وعدم الغفران، مثل إنكار الله، والشرك به.

وبعض الذنب، وعد الله عليها الغفران والعفو - إذا تاب منها العبد -. وإذا راجعنا الله تعالى، نجد أن الله يجب أن يعرفه العبيد كأرحم الراحمين. وأن يعتبروا رحمته أوسع من ذنبهم فلا يصابوا باليأس.. ولذلك فإن الله يعتبر من أكبر الذنب: اليأس من رحمته. ويقول الله في ذلك: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالِحُونَ) (الحجر / 56).

قد يكون السبب أنَّ القنوط من رحمة الله يدفع الإنسان إلى ارتكاب كافة المعاشي، فأي ذنب مهما كان كبيراً، لا يمنع الإنسان من محاولة العودة عنه؛ لأنَّ مرتكبه لا يشعر بانسداد الأبواب في وجهه. بينما نجد (اليأس من رحمة الله) كسد لكلِّ أبواب المحاولة، والواقع في جريمة ارتكاب المعاشي.

فيتوغل في الجريمة، حتى يستنفذ كلَّ طاقاته في امتصاص متع الدنيا، مادام يعرف نفسه محروماً من متع الآخرة. لكنَّ رحمة الله أوضح من كلِّ شيء.. فما أرحم الراحمين.. إنَّ كلَّ الأحاديث تؤكِّد على أنَّ الله أرحم بعباده – حتى العُمَّة منهم – من الأُمُّ بولدها. وإذا ارتكب الطفل خطأ واحداً، أو خطأين، فهل تطرده للأُم إلى الأبد، وتحرمه من العطف والتودد؟

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ رجلاً قال: والله إنَّ الله لا يغفر لفلان. فقال الله: مَنْ ذَا الذي تئلا - حتم - علىَّ أن لا أغفر لفلان؟ وأضاف تعالي: إني قد غفرت لفلان وأحببت عمل الثاني بقوله: لا يغفر الله لفلان». وتبلغ رحمة الله من السعة أنَّه تعالي يكشف عنها لأكبر المذنبين. فيقول لموسى، عندما يرسله إلى فرعون: توعَّده، وأخبره إني إلى العفو والمغفرة، أسرع مني إلى الغضب والعقوبة.

الوقوف بين يدي الله.. الخصوص الصادق له.. التوجُّه القلبي المخلص إلى رحمته.. التواضع الحقيقي أمام عظمته.. أمور كفيلة بكنس الذنوب العظام، واستدرار رحمة الله العظيمة. وقد جاء في الحديث: «إنَّ الله مَلِكاً ينادي في أوقات الصلاة: يا بني آدم.. قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتكموها على أنفسكم أطْفُؤُها بالصلة».

إنَّ الصلاة تؤكِّد في الإنسان معاني العبودية وتدفع به إلى الامتناع عن المعاشي بمور الأ أيام.. إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، توضأ بإخلاص. قف أمام الله - باتجاه القبلة - تذكر أنَّك تواجه ربِّك. فستجد بعد مرور مدة على صلواتك إني بذلت تقترب إلى ربِّك. يقول الله تعالي: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَيَّ صَلَوةٌ وَأَتَهُمْ يُخَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرِدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون/ 9-11). ومن موجبات المغفرة أيضاً إدخال السرور على أخيك المؤمن.. هذا ما ي قوله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). فإذا كانت عندك ذنوب تريد غسلها، ففتَّش عن مؤمن، واسأله فيما إذا كان طالب حاجة، اقضها له، فسرعان ما تحس ببرد العفو الإلهي يمس شعاف قلبك. كما قال تعالي: (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف/ 56).

كما إنَّ محبَّة الناس، واستعمال الطيِّب معهم طريق آخر من طُرق غفران الذنوب.. فاَن يريد للإنسان أن يعيش مع أخيه الإنسان في حبٍ صادق، وتودد مخلص، ولذلك فقد أكد اَن على (حُسن الخُلق) كأفضل ما يوضع في ميزان العبد المؤمن يوم القيمة، وجعل غفران الذنوب في بعض الأحيان معلقاً على حُسن الخُلق. يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ حُسن الخُلق يُذيب الخطيئة كما تُذيب الشمس الجليد». ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): «أكبر ما يلج به أُمّتي الجنَّة، تقوى الله وحُسن الخُلق».. فما أجمل أن يقف الإنسان أمام ربه ليقول له: (يا مَن إذا سأله عبده أعطاه.. وإذا أمل ما عنده بلغه مناه.. وإذا أقبل عليه قرْبَه وأدناه).